الفصل الثالث

العداء بين الانسان والشيطان

أسباب العداء وتاريخه وشدّة هذا العداء :

العداء بين الإنسان والشيطان عداء بعيد الجذور ، يعود تاريخه إلى اليوم الذي شكل الله فيه آدم قبل أن ينفخ فيه الروح ، فأخذ الشيطان يطيف به ، ويقول : لئن سلطت عليَّ لأعصينك ، ولئن سلطت عليك لأهلكنك .

ففي صحيح مسلم عن أنس أنَّ رسول الله ﷺ قال : « لما صوَّر الله آدم في الجنة ، تركه ما شاء الله أن يتركه ، فجعل إبليس يُطيف به ، ينظر ما هو ، فلما رآه أجوف عرف أنه خلق خلقاً لا يتماسك » .

فلما نفخ الله في آدم الروح ، وأمر الملائكة بالسجود لآدم ، وكان إبليس يتعبد الله مع ملائكة السماء فشمله الأمر ، ولكنه تعاظم في نفسه واستكبر ، وأبى السجود لآدم : (قال أنا خير منه ، خلقتني من نار ، وخلقته من طين)

لقد فتح أبونا آدم عينيه ، فإذا به يجد أعظم تكريم ، يجد الملائكة ساجدين له ، ولكنَّه يجد عدواً رهيباً يتهدده وذريته بالهلاك والإضلال .

وطرد الله الشيطان من جنة الخلد بسبب استكباره ، وحصل على وعد من الله بإبقائه حيًا إلى يوم القيامة : (قال فأنظرني إلى يوم يبعثون ، قال إنك من المنظرين) (سورة الأعراف / ١٤ ـ ١٥) وقد قطع اللعين على نفسه عهداً بإضلال بني آدم والكيد لهم : (قال فبما أغويتني لأقعدنَّ لهم صراطك المستقيم ، ثمَّ لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ، ولا تجد أكثرهم شاكرين) (سورة الأعراف / ١٦ ـ ١٧) . وقوله هذا يصور مدى الجهد الذي يبذله لإضلال ابن آدم ، فهو يأتيه من كل طريق ممكن ، عن اليمين والشمال ، ومن الأمام والخلف ، أي من جميع الجهات قال الزمخشري :

في تفسير هذه الآية : « ثم لآتينهم من الجهات الأربع التي يأتي منها العدو في الغالب ، وهذا مثل لوسوسته إليهم ، وتسويله لهم ما أمكنه وقدر عليه ، كقوله : (واستفزز من استطعت منهم بصوتك ، وأجلب عليهم بخيلك ورجِلك) . (سورة الإسراء / ٦٤) .

تحذير الله لنا من الشيطان :

وقد أطال القرآن في تحذيرنا من الشيطان لعظيم فتنته ، ومهارته في الإضلال ، ودأبه وحرصه على ذلك . قال تعالى : (يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان ...) (سورة الأعراف / ٢٧) .

وقال : (إن الشيطان لكم عدو ، فاتخذوه عدواً) (سورة فاطر / ٦) وقال : (ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً) (سورة النساء / ١١٩) .

وعداوة الشيطان لا تحول ولا تزول ؛ لأنَّه يرى أنَّ طرده ولعنه وإخراجه من الجنة كان بسبب أبينا آدم ، فلا بدَّ أن ينتقم من آدم وذريته من بعده : (قال : أرأيتك هذا الذي كرمت عليَّ ، لئن أخرتن إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته ، إلا قليلاً) (سورة الإسراء / ٦٢) .

وأرباب السلوك وعلماء الأخلاق اعتنوا بذكر النفس وعيوبها وآفاتها وقصَّروا في التعرف على عدوهم اللدود ، مع أنّ الله حذرنا منه كثيراً ، وأمرنا بالاستعاذة منه ، ولم يأمر بالاستعاذة من النفس في موضع واحد ، وإنّما جاءت الاستعاذة من شرها في خطبة الحاجة في قوله ﷺ : « ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا » .

أهداف الشيطان

الهدف البعيد :

هناك هدف وحيد يسعى الشيطان لتحقيقه في نهاية الأمر ، هو أن يلقي الإنسان في الجحيم ، ويحرمه من الجنّة ، (إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير) (سورة فاطر / ٦)

الأهداف القريبة

ذلك هو هدف الشيطان البعيد ، أمّا الأهداف القريبة فهي :

١ ـ إيقاع العباد في الشرك والكفر :

وذلك بدعوتهم إلى عبادة غير الله والكفر بالله وشريعته : (كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر ، فلما كفر ، قال : إني بريء منك) (سورة الحشر / ١٦) .

وروى مسلم في صحيحه عن عياض بن حمار أن النبي ـ ﷺ ـ خطب ذات يوم ، فقال في خطبته : (يا أيها الناس ، إن الله تعالى أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علّمني في يومي هذا ، إن كل مامنحته عبدي فهو له حلال . وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم ، فأتتهم الشياطين ، فاجتالتهم عن دينهم ، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً) .

٢ ـ إذا لم يستطع تكفيرهم فيوقعهم في الذنوب :

فإذا لم يستطع إيقاعهم في الشرك والكفر ، فإنه لا ييئس ، ويرضى بما دون ذلك من إيقاعهم في الذنوب والمعاصي ، وغرس العداوة والبغضاء في صفوفهم ، ففي سنن الترمذي وابن ماجه بإسناد حسن (ألا إن الشيطان قد أيس أن يعبد في بلدكم هذا أبداً ، ولكن ستكون له طاعة في بعض ما

تحقرون من أعمالكم ، فيرضى بها) . وفي صحيح البخاري وغيره : « إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ، ولكن في التحريش بينهم » . أي بإيقاع العداوة والبغضاء بينهم ، وإغراء بعضهم ببعض ، كما قال تعالى : (إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ، ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون ؟) . (سورة المائدة / ٩١)

وهو يأمر بكل شر (إنما يأمُركم بالسوء والفحشاء ، وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) ، (سورة البقرة / ١٦٩) .

وخلاصة الأمر فكل عبادة محبوبة لله فهي بغيضة إلى الشيطان ، وكل معصية مكروهة للرحمن فهي محبوبة للشيطان .

٣ ـ صدّه العباد عن طاعة الله :

وهو لا يكتفي بدعوة الناس إلى الكفر والذنوب والمعاصي بل يصدهم عن فعل الخير ، فلا يترك سبيلاً من سبل الخير يسلكه عبد من عباد الله إلا قعد فيه ، يصدُّهم ويميل بهم ، ففي الحديث : (إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه ، فقعد له بطريق الإسلام فقال : تسلم وتذر دينك ودين آبائك وآباء آبائك ؟ ! فعصاه فأسلم ، ثم قعد له بطريق الهجرة ، فقال : تهاجر وتدع أرضك وسماءك ؟ وإنما مثل المهاجر كمثل الفرس في الطول ، (الطول: الحبل الطويل ، يشد أحد طرفيه في وتد أو غيره ، والطرف الآخر في يد الفرس ليدور فيه ، ويرعى ولا يذهب لوجهه) . فعصاه فهاجر . ثم قعد له بطريق الجهاد ، فقال : تجاهد فهو جهد النفس والمال ، فتقاتل فتقتل فتنكح المرأة ويقسم المال ؟ ! فعصاه فجاهد ، فمن فعل ذلك كان حقّا على الله أن يدخله الجنّة ، ومن قتل كان حقّا على الله أن يدخله الجنّة ،

وإن غرق كان حقًا على الله أن يدخله الجنة ، وإن وقصته دابته كان حقًا على الله أن يدخله الجنة) .

رواه أحمد والنسائي وابن حبان بإسناد صحيح (صحيح الجامع ٢ / ٧٢) ومصداق ذلك في كتاب الله ما حكاه الله عن الشيطان أنه قال لرب العزة : (فبما أغويتني لأقعدنَّ لهم صراطك المستقيم ، ثمَّ لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ، ولا تجد اكثرهم شاكرين) (سورة الأعراف / ١٦ ، ١٧) .

وقوله (لأقعدن لهم صراطك) : أي على صراطك ، فهو منصوب بنزع الخافض أو هو منصوب بفعل مضمر ، أي لألزمنّ صراطك ، أو لأرصدنّه ، أو لأعوجته .

وعبارات السلف في تفسير الصراط متقاربة ، فقد فسره ابن عباس بأنه الدين الواضح ، وابن مسعود بأنه كتاب الله ، وقال جابر : هو الإسلام ، وقال مجاهد : هو الحق .

فالشيطان لا يدع سبيلاً من سبل الخير إلا قعد فيه يصد الناس عنه .

٤ ـ إفساد الطاعات :

إذا لم يستطع الشيطان أن يصدهم عن الطاعات ، فإنه يجتهد في افساد العبادة والطاعة ، كي يحرمهم الأجر والثواب ، فقد جاء أحد الصحابة إلى الرسول ـ ﷺ ـ يقول له : إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي ، يلبسها عليَّ .

فقال رسول الله ﷺ : « ذلك شيطان يقال له : خِنْزب ، فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه . واتفل على يسارك ثلاثا » . قال : ففعلت ذلك ، فأذهبه الله عني رواه مسلم في صحيحه .

فإذا دخل العبد في صلاته أجلب عليه الشيطان يوسوس له ويشغله عن

طاعة الله ويذكره بأمور الدنيا ، ففي صحيح مسلم ـ أن الرسول ﷺ ـ قال : « إن الشيطان إذا سمع النداء بالصلاة ، أحال له ضراط ، حتى لا يسمع صوته ، فاذا سكت رجع فوسوس ، فإذا سمع الاقامة ، ذهب حتى لا يسمع صوته ، فإذا سكت رجع فوسوس » رواه مسلم .

وفي رواية : « فإذا قضى التثويب أقبل ، حتى يخطر بين المرء ونفسه ، يقول له : اذكر كذا ، اذكر كذا ، لما لم يكن يذكر من قبل حتى يظلّ الرجل ما يدري كم صلى » رواه البخاري ومسلم .

كل مخالفة للرحمن فهي طاعة للشيطان :

يقول تعالى : (إن يدعون من دونه إلا اناثاً ، وإن يدعون إلا شيطاناً مريداً ، لعنه الله ، وقال : لأتخذن من عبادك نصيباً مفروضاً) . (سورة النساء ١١٧ ـ ١١٨) . فكل من عبد غير الله من صنم أو وثن أو شمس وقمر أو هوى أو إنسان أو مبدأ فهو عابد للشيطان ، رضي أم أبى ؛ لأن الشيطان هو الآمر بذلك والمرغب فيه ، ولذلك فإن عباد الملائكة يعبدون الشيطان في الحقيقة (ويوم يحشرهم جميعاً ، ثم يَقول للملائكة : أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون ؟ قالوا : سبحانك ، أنت ولينا من دونهم ، بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون) (سورة سبأ / ٤٠ ـ ٤١) يعني أن الملائكة لم تأمرهم بذلك ، وإنما أمرتهم بذلك الجن ، ليكونوا عابدين للشياطين الذين يتمثلون لهم ، كما يكون للأصنام شياطين .

الخلاصة :

والشيء الذي نخلص إليه أن الشيطان يأمر بكل شرٍّ ، ويحث عليه ، وينهي عن كلِّ خير ، ويخوف منه ؛ كي يرتكب الأول ، ويترك الثاني . كما قال تعالى : (الشيطان يعدكم الفقر ، ويأمركم بالفحشاء ، والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً) . (سورة البقرة / ٢٦٨) . وتخويفه إيانا الفقر بأن يقول :

إن أنفقتم أموالكم افتقرتم ، والفحشاء التي يأمرنا بها : هي كل فعلة فاحشة خبيثة من البخل والزنا وغير ذلك .

٥ ـ الايذاء البدني والنفسي :

كما يهدف الشيطان إلى إضلال الإنسان بالكفر والذنوب ، فإنه يهدف إلى ايذاء المسلم في بدنه ونفسه ، ونحن نسوق بعض ما نعرفه من هذا الإيذاء

أ ـ مهاجمة الرسول ﷺ :

سيأتي الحديث الذي يخبر فيه الرسول ـ ﷺ ـ بمهاجمة الشيطان له ، ومجيء الشيطان بشهاب من نار ليرميه في وجه الرسول ﷺ .

ب ـ الحلم من الشيطان .

للشيطان القدرة أن يري الإنسان في منامه أحلاماً تزعجه وتضايقه بهدف إحزانه وإيلامه .

فقد أخبر الرسول ـ ﷺ ـ أن الرؤى التي يراها المرء في منامه ثلاثة : رؤيا من الرحمن ، ورؤيا تحزين من الشيطان ، ورؤيا حديث نفس (صحيح الجامع ٣ / ١٨٤ ، ١٨٥) وفي صحيح البخاري أن الرسول ﷺ قال : (إذا رأى أحدكم الرؤيا يحبها ، فإنما هي من الله ، فليحمد الله عليها ، وليحدث بها ، وإذا رأى غير ذلك مما يكره ، فإنما هي من الشيطان ، فليستعذ بالله ، ولا يذكرها لأحد ، فإنها لا تضره) .

جـ ـ إحراق المنازل بالنار :

وذلك بواسطة بعض الحيوانات التي يغريها بذلك ، ففي سنن أبي داود وصحيح ابن حبان بإسناد صحيح أن الرسول ـ ﷺ ـ قال : « **إذا نمتم فأطفئوا سُرُجكم ، فإن الشيطان يدلُّ مثل هذه (الفأرة) على هذا (السراج) فيحرقكم** » .

د ـ تخبط الشيطان للإنسان عند الموت :

وقد كان الرسول ـ ﷺ ـ يستعيذ من ذلك فيقول : « اللهم إني أعوذ بك من التردي ، والهدم ، والغرق ، والحرق ، وأعوذ بك أن يتخبطني الشيطان عند الموت ، وأعوذ بك أن أموت في سبيلك مدبراً ، وأعوذ بك من الموت لديغاً » رواه النسائي والحاكم بإسناد صحيح ، (صحيح الجامع ١ / ٤٠٥) .

هـ ـ إيذاؤه الوليد حين يولد :

يقول الرسول ـ ﷺ ـ : « كل بني آدم يمسُّه الشيطان يوم ولدته أمُّه إلا مريم وابنها » ، رواه مسلم ، (صحيح الجامع ٤ / ١٧١) . وفي صحيح البخاري : « كل بني آدم يطعن الشيطان في جنبيه بإصبعه حين يولد غير عيسى ابن مريم ، ذهب يطعن ، فطعن في الحجاب » . وفي البخاري أيضاً : « ما من بني آدم مولود إلا يمسه الشيطان حين يولد ، فيستهل صارخاً من مس الشيطان ، غير مريم وابنها » . والسبب في حماية مريم وابنها من الشيطان استجابة الله دعاء أم مريم حين ولدتها : « وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم » (سورة آل عمران / ٣٦) .

فلما كانت صادقة في طلبها استجاب الله لها فأجار مريم وابنها من الشيطان الرجيم ، وممن أجاره الله أيضاً عمار بن ياسر ، ففي صحيح البخاري أن أبا الدرداء قال : أفيكم الذي أجاره الله من الشيطان على لسان نبيه ، قال المغيرة : الذي أجاره الله من الشيطان على لسان نبيه يعني عماراً .

و ـ مرض الطاعون من الجن :

أخبر الرسول ـ ﷺ ـ أن « فناء أمته بالطعن والطاعون ؛ وخز أعدائكم من الجنِّ ، وفي كل شهادة » ، رواه أحمد والطبراني باسناد صحيح (صحيح الجامع ٤ / ٩٠) .

وفي مستدرك الحاكم « الطاعون وخز أعدائكم من الجن ، وهو لكم شهادة » .

ولعلَّ ما أصاب نبيّ الله أيوب كان بسبب الجن كما قال : « واذكر عبدنا أيّوب إذ نادى ربّه أنّي مسَّني الشيطان بِنُصْبٍ وعذاب » ، (سورة ص / ٤١) .

ز ـ بعض الأمراض الأخرى :

قال ﷺ للمرأة المستحاضة : « إنما هذه ركضة من ركضات الشيطان » ، رواه الأربعة باسناد حسن (صحيح الجامع ٣ / ١٩٦) .

ح ـ مشاركته لبني آدم في طعامهم وشرابهم ومساكنهم :

ومن الأذى الذي يجلبه الشيطان للإنسان أنه يعتدي على طعامه وشرابه فيشركه فيهما ، ويشركه في المبيت في منزله ، يكون ذلك منه إذا خالف العبد هدى الرحمن ، أو غفل عن ذكره ، أمّا إذا كان ملتزماً بالهدى الذي هدانا الله إليه ، لا يغفل عن ذكر الله ، فإن الشيطان لا يجد سبيلاً إلى أموالنا وبيوتنا . فالشيطان لا يستحل الطعام إلا إذا تناول منه أحد بدون أن يسمي ، فإذا ذكر اسم الله عليه ، فإنَّه يحرم على الشيطان ، روى مسلم في صحيحه عن حذيفة ، قال : كنا إذا حضرنا مع النبي ـ ﷺ ـ طعاماً لم نضع أيدينا حتى يبدأ رسول الله ـ ﷺ ـ فيضع يده ، وإنّا حضرنا معه مرة طعاماً . فجاءت جارية كأنها تدفع ، فذهبت لتضع يدها في الطعام ، فأخذ رسول الله ـ ﷺ ـ بيدها ، ثم جاء أعرابي كأنما يدفع فأخذ بيده . فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : « إن الشيطان ليستحل الطعام أن لا يذكر اسم الله عليه ، وإنه جاء بهذه الجارية ليستحل بها ، فأخذت بيدها ، فجاء بهذا الأعرابي ليستحل به ، فأخذت بيده ، والذي نفسي بيده إن يده في يدي مع يدها » .

وقد أمرنا الرسول ـ ﷺ ـ أن نحفظ أموالنا من الشيطان وذلك بإغلاق

الأبواب ، وتخمير الآنية ، وذكر اسم الله ؛ فإن ذلك حرز لها من الشيطان ، يقول ﷺ : « أغلقوا الأبواب ، واذكروا اسم الله ، فإن الشيطان لا يفتح باباً مغلقاً ، وأوكوا قربكم ، واذكروا اسم الله ، وخمروا آنيتكم ، واذكروا اسم الله ، ولو أن تعرضوا عليها شيئاً ، واطفئوا مصابيحكم » رواه مسلم .

ويأكل الشيطان ويشرب مع الإنسان إذا أكل أو شرب بشماله ، وكذلك إذا شرب واقفاً ، ففي مسند أحمد عن عائشة عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال : « من أكل بشماله أكل معه الشيطان ، ومن شرب بشماله شرب معه الشيطان » .

وفي المسند أيضاً عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ـ ﷺ ـ رأى رجلا يشرب قائماً ، فقال له : « قه » ، قال : لم ؟ قال : « أيسرك أن يشرب معك الهر ؟ » قال : لا ، قال : « فإنه قد شرب معك من هو شرٌّ منه الشيطان » .

وكي تطرد الشياطين من المنزل لا تنسى أن تذكر اسم الله عند دخول المنزل ، وقد أرشدنا الرسول ـ ﷺ ـ لذلك ، حيث يقول : « إذا دخل الرجل بيته فذكر اسم الله حين يدخل وحين يطعم ، قال الشيطان لا مبيت لكم ولا عشاء هنا ، وإن دخل ولم يذكر اسم الله عند دخوله قال : أدركتم المبيت ، وإن لم يذكر اسم الله عند طعامه قال أدركتم المبيت والعشاء) .

ط ـ مس الشيطان للإنسان (الصرع) :

يقول ابن تيمية (مجموع الفتاوى ٢٤ / ٢٧٦) : « دخول الجن في بدن الإنسان ثابت باتفاق أئمة أهل السنة والجماعة ، قال الله تعالى : (الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس) ، (سورة البقرة / ٢٧٥) وفي الصحيح عن النبي ـ ﷺ ـ : (إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم) .

وقال عبد الله بن الامام أحمد بن حنبل : « قلت لأبي : إن أقواماً يقولون :

إن الجن لا يدخل في بدن المصروع ، فقال : يا بني يكذبون ، هذا يتكلم على لسانه » .

يقول ابن تيمية : « هذا الذي قاله مشهور ، فإنّه يصرع الرجل فيتكلم بلسان لا يعرف معناه ، ويُضْرب على بدنه ضرباً عظيماً لو ضرب به جمل لأثر به أثراً عظيماً ، والمصروع مع هذا لا يحس بالضرب ، ولا بالكلام الذي يقوله ، وقد يَجُرُّ المصروع ، وغير المصروع ، ويجر البساط الذي يجلس عليه ، ويحول الآلات ... ويجري غير ذلك من الأمور من شاهدها أفادته علماً ضرورياً ، بأن الناطق على لسان الإنس ، والمحرك لهذه الأجسام جنس آخر غير الإنسان . »

ويقول رحمه الله : « وليس في أئمة المسلمين من ينكر دخول الجن في بدن المصروع وغيره ، ومن أنكر ذلك وادعى أن الشرع يكذب ذلك ، فقد كذب على الشرع ، وليس في الأدلة الشرعية ما ينفي ذلك » .

وذكر في (جـ ١٩ / ١٢) أن ممن أنكر دخول الجن بدن المصروع طائفة من المعتزلة كالجبائي وأبي بكر الرازي .

وسنحاول أن نلقي مزيداً من الضوء على هذا الموضوع في الفصل الخامس .

قائد المعركة

إبليس هو الذي يخطط للمعركة مع بني الإنسان ويقودها ، ومن قاعدته يرسل البعوث والسرايا في الاتجاهات المختلفة ، ويعقد مجالس يناقش جنوده وجيوشه فيما صنعته ، ويثني على الذين أحسنوا وأجادوا في الاضلال وفتنة الناس . روى الامام مسلم في صحيحه عن جابر رضي الله عنه عن النبي ـ ﷺ ـ قال : « إن الشيطان يضع عرشه على الماء ، ثم يبعث سراياه في الناس ، فأقربهم عنده منزلة أعظمهم عنده فتنة ، يجيء أحدهم فيقول : ما زلت

بفلان حتى تركته وهو يقول كذا وكذا ، فيقول إبليس : لا والله ما صنعت شيئاً ، ويجيء أحدهم فيقول : ما تركته حتى فرقت بينه وبين أهله ، قال : فيقربه ويدنيه ، ويقول : نعم أنتَ » .

وفي مسند الامام أحمد قال الرسول ـ ﷺ ـ لابن صائد (وكان يشك ـ ﷺ ـ أنّه الدجال) : « ما ترى » ؟ قال : أرى عرشاً على البحر حوله الحيات ، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : « صدق ذاك عرش إبليس » .

والشيطان له خبرة طويلة مديدة في مجال الاضلال ، ولذلك فإنّه يجيد وضع خططه ، ونصب مصياده وأحابيله ، فهو لم يزل حيّا يضل الناس منذ وجد الإنسان إلى اليوم وإلى أن تقوم الساعة : « قال : رب ، فأنظرني إلى يوم يبعثون ، قال : فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم » (سورة الحجر /٣٦ ـ ٣٨) وهو دؤوب على القيام بالشر الذي نذر نفسه له ، لا يكل ولا يمل ، ففي الحديث : « إن الشيطان قال : وعزتك وجلالك لا أبرح أغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم ، فقال الرب : وعزتي وجلالي لا أزال أغفر لهم ما استغفروني » رواه أحمد والحاكم بإسناد حسن (صحيح الجامع ٢/٧٢) .

الجنود :

وله فريقان من الجنود : فريق من الجان ، وفريق من بني الإنسان .

جنوده من الجن :

الشيطان له جنود وأعوان من الجن ، وقد سبق ذكر حديث ارساله سراياه ، وفي القرآن : « واستفزز من استطعت منهم بصوتك ، وأجلب عليهم بخيلك ورَجِلك ... » (سورة الاسراء / ٦٤) فله جنود يهاجمون راكبين راجلين ، يرسلهم على العباد يحركونهم إلى الشر تحريكاً (ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزّا) (سورة مريم / ٨٣) .

لكل إنسان قرين :

كل إنسان يلازمه شيطان لا يفارقه كما في حديث عائشة عند مسلم قالت : « خرج النبي - ﷺ - من عندي ليلا ، فغرت عليه ، فجاء ، فرأى ما أصنع ، فقال ما لك يا عائشة : أغرت ؟ قلت : وما لي لا يغار مثلي على مثلك ؟ فقال : أقد جاءك شيطانك ؟ قلت : يا رسول الله ، أو معي شيطان ؟ قال : نعم ، قلت : ومع كل إنسان شيطان ؟ قال : نعم ، قلت: ومعك يا رسول الله ؟ قال : نعم ، ولكن ربي أعانني عليه حتى أسلم » .

وروى مسلم والامام أحمد عن عبدالله ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ما منكم من أحد إلا وقد وُكِّلَ به قرينه من الجن ، وقرينه من الملائكة » قالوا : وإياك يا رسول الله ؟ قال : « وإياي لكن الله أعانني عليه فأسلم ، فلا يأمرني إلا بخير » .

وفي القرآن (ومن يَعْشُ عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين) ، (سورة الزخرف / ٣٦) كما قال في الآية الأخرى : (وقيضنا لهم قرناء ، فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم) (سورة فصلت / ٢٥) .

أولياؤه من الإنس :

الشيطان العدو الأول للإنسان الذي يسعى في إهلاكه ، ومع ذلك فإن غالبية البشر اتخذوه وليّا ، يسيرون على خطاه ، ويرضون بفكره ، وما أقبح هذا بالإنسان العاقل أن يتخذ عدوه وليّا (أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو ، بئس للظالمين بدلا) (سورة الكهف / ٥٠) .

ولقد خسروا باتخاذه ولياً خسراناً مبيناً : « ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً » (سورة النساء / ١١٩) خسروا لأن الشيطان سيدسِّي نفوسهم ويفسدها ، ويحرمهم من نعمة الهداية ، ويرمي بهم في الضلالات والشبهات (والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت ، يخرجونهم

من النور إلى الظلمات ، أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) (سورة البقرة / ٢٥٧) وخسروا لأنه سيقودهم إلى النار في يوم القيامة ، (إنَّما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير) (سورة فاطر / ٦) ، وهؤلاء أولياء الشيطان يتخذهم الشيطان مطية وجنوداً ينفذ بهم مخططاته وأهدافه .

كيده وخذلانه لأوليائه :

يتولى كثير من الناس الشيطان ، ولكنه يكيد لهم ويوردهم الموارد التي فيها هلاكهم وعطبهم ، ويتخلى عنهم ويسلمهم ويقف يشمت بهم ، ويضحك منهم ، فيأمرهم بالقتل والسرقة والزنا ويدلّ عليهم ويفضحهم ، فعل ذلك بالمشركين في معركة بدر عندما جاءهم في صورة سراقة بن مالك ووعدهم بالنصر والغلب (وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم) (سورة الأنفال / ٤٨) فلما رأى عدو الله الملائكة نزلت لنصرة المؤمنين ، ولى هارباً وأسلمهم ، كما قال حسان بن ثابت :

دلّاهم بغُرُور ثمَّ أسلمهم إن الخبيث لمن والاه غرّارُ

وكذلك فعل بالراهب الذي قتل المرأة وولدها ، وأمره بالزنا ثم بقتلها ، ثمَّ دل أهلها عليه ، وكشف أمره لهم ، ثمَّ أمره بالسجود له ، فلما فعل فرَّ عنه وتركه ، كما سيأتي بيانه .

وفي يوم القيامة يقول لأوليائه بعد دخوله ودخولهم النار : (إني كفرت بما أشركتمون من قبل) (سورة ابراهيم / ٢٢) فأوردهم شرَّ الموارد ثمَّ تبرأ منهم كل البراءة .

وستأتي قصة ذلك الذي يدعي أنّه عالم روحاني ، وكيف تخلت عنه الشياطين بعد أن بلغ مبلغاً كبيراً من الشهرة ، فأصبح حائراً ذليلا لا يدري ما يفعل .

الشيطان يجند أولياءَه لخدمته ومحاربة المؤمنين :

الناس فريقان : أولياء للرحمن ، وأولياء للشيطان . وأولياء الشيطان هم الكَفَرَة على اختلاف مللهم ونحلهم (إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون) (سورة الاعراف / ٢٧) .

والشيطان يسخِّر هؤلاء لتضليل المؤمنين بما يلقونه من الشبه والشكوك (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن اطعمتوهم إنكم لمشركون) (سورة الأنعام / ١٢١) .

وما هذه الشبهات التي يقوم بها المستشرقون والصليبيون واليهود والملحدون إلا من هذا القبيل .

ويدفعهم لإيذاء المؤمنين نفسياً (إنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا) ، (سورة المجادلة / ١٠) . فقد كان يدفع المشركين للتناجي حين وجود المسلمين على مقربة منهم فيظن المسلم أنهم يتآمرون عليه ...

بل يدفعهم إلى حرب المسلمين وقتالهم (الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله ، والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت ، فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا) (سورة النساء / ٧٦) .

وهو دائماً يخوف المؤمنين أولياءه (إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه ، فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين) (سورة آل عمران / ١٧٥) وأولياؤه جمع كبير (ولقد صدق عليهم إبليس ظنه ، فاتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين) (سورة سبأ / ٢٠) .

أساليب الشيطان في إضلال الإنسان :

لا يأتي الشيطان إلى الإنسان ويقول له : اترك هذه الأمور الخيرة ، وافعل هذه الأمور السيئة ؛ كي تشقى في دنياك وأخراك ؛ لأنه لو فعل ذلك

فلن يطيعه أحد ، ولكنه يسلك سبلاً كثيرة يغرر بها بعباد الله .

١ ـ تزيين الباطل :

هذا هو السبيل الذي كان الشيطان ولا يزال يسلكه لاضلال العباد ، فهو يظهر الباطل في صورة الحق ، والحق في صورة الباطل ، ولا يزال بالإنسان يحسن له الباطل ، ويكرهه بالحق ، حتى يندفع إلى فعل المنكرات ويعرض عن الحق ، كما قال اللعين لرب العزة : (رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين) (سورة الحجر / ٣٩ ـ ٤٠) .

يقول ابن القيم في هذا الصدد : « ومن مكايده أنه يسحر العقل دائماً حتى يكيده ، ولا يسلم من سحره إلا من شاء الله ، فيزين له الفعل الذي يضره حتى يخيل إليه أنه أنفع الأشياء ، وينفر من الفعل الذي هو أنفع الأشياء له ، حتى يخيل له أنه يضره ، فلا إله إلا الله ، كم فتن بهذا السحر من انسان ! وكم حال به بين القلب وبين الإسلام والإيمان والإحسان ! وكم جلا الباطل وأبرزه في صورة مستحسنة ، وشنع الحق وأخرجه في صورة مستهجنة ! وكم بهرج من الزيوف على الناقدين ، وكم روج من الزغل على العارفين ! فهو الذي سحر العقول حتى ألقى أربابها في الأهواء المختلفة والآراء المتشعبة ، وسلك بهم من سبل الضلال كل مسلك ، وألقاهم من المهالك في مهلك بعد مهلك ، وزين لهم عبادة الأصنام ، وقطيعة الأرحام ، ووأد البنات ، ونكاح الأمهات ، ووعدهم بالفوز بالجنات مع الكفر والفسوق والعصيان ، وأبرز لهم الشرك في أعظم صورة التعظيم ، والكفر بصفات الرب تعالى وعلوه وتكلمه بكتبه في قالب التنزيه ، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في قالب التودد إلى الناس ، وحسن الخلق معهم ، والعمل بقوله (عليكم أنفسكم) (سورة المائدة / ١٠٥) والإعراض عما جاء به الرسول ـ ﷺ ـ في قالب التقليد ، والاكتفاء بقول من هو أعلم منهم ، والنفاق والإدهان في دين الله في قالب

العقل المعيشي الذي يندرج به العبد بين الناس » (اغاثة اللهفان ١ / ١٣٠) ، وبهذا السبيل كاد إبليس اللعين آدم عليه السلام إذ زين له الأكل من الشجرة التي حرمها الله عليه ، فما زال به يزعم له أن هذه هي شجرة الخلد وأن الأكل منها يجعله خالداً في الجنة أو ملكاً من الملائكة حتى أطاعه ، فخرج من الجنة .

وانظر إلى أولياء الشيطان اليوم كيف يستخدمون هذا السبيل في اضلال العباد .

فهذه الدعوات إلى الشيوعية والاشتراكية .. يزعمون أنها هي المذاهب التي تخلص البشرية من الحيرة والقلق والضياع والجوع ... وهذه الدعوات التي تدعو إلى خروج المرأة كاسية عارية باسم الحرية ، وتدعو إلى هذا التمثيل السخيف الذي تداس فيه الأعراض والأخلاق وتنتهك فيه الحرمات باسم الفن .

وتلك الأفكار المسمومة التي تدعو إلى ايداع المال في البنوك بالربا لتحقيق الأرباح باسم التنمية والربح الوفير ، وتلك الدعوات التي تزعم أن التمسك بالدين رجعية وجمود وتأخر ، والتي تسم دعاة الإسلام بالجنون والعمالة لدول الشرق والغرب ... الخ .

كل ذلك امتداد لسبيل الشيطان الذي كاد به آدم منذ عهد بعيد ، وهو تزيين الباطل وتحسينه ، وتقبيح الحق وتكريه الناس به ، (تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم) (سورة النحل / ٦٣) .

وهو والله سبيل خطر لأن الإنسان إذا زين له الباطل حتى رآه حسناً فإنه يندفع بكل قواه لتحقيق ما يراه حقاً وإن كان فيه هلاكه (قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنَّهم يحسنون صنعاً) (سورة الكهف / ١٠٣ ، ١٠٤) .

وهؤلاء يندفعون لصدّ النّاس عن دين الله ومحاربة أولياء الله ، وهم

يظنون أنفسهم على الحق والهدى ، (وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون) (سورة الزخرف / ٣٧)

وهذا هو السبب الذي من أجله آثر الكفار الدنيا وأعرضوا عن الآخرة كما قال تعالى : (وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم) (سورة فصلت / ٢٥) . فالقرناء هم الشياطين ، زينوا لهم ما بين أيديهم من أمر الدنيا حتى آثروها ، ودعوهم إلى التكذيب بالآخرة ، وزينوا لهم ذلك حتى أنكروا البعث والحساب والجنّة والنار .

تسمية الأمور المحرمة بأسماء محببة :

ومن تغرير الشيطان بالإنسان وتزيينه الباطل أن يسمى الأمور المحرمة التي هي معصية لله بأسماء محببة للنفوس خداعاً للإنسان وتزويراً للحقيقة ، كما سمي الشجرة المحرمة بشجرة الخلد كي يزين لآدم الأكل منها (قال يا آدم ، هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى) .

يقول ابن القيم : « ومنه ورث أتباعه تسمية الأمور المحرمة بالأسماء التي تحب النفوس مسمياتها ، فسموا الخمر : أم الأفراح ، وسموا أخاها بلقمة الراحة ، وسموا الربا بالمعاملة ، وسموا المكوس بالحقوق السلطانية .. » .

واليوم يسمون الربا الفائدة ، والرقص والغناء والتمثيل والتماثيل فنا .

٢ ـ الإفراط والتفريط :

يقول ابن القيم في هذه المسألة : « وما أمر الله عز وجل بأمر إلا وللشيطان فيه نزعتان : إمّا تقصير وتفريط ، وإمّا افراط وغلوٌّ ، فلا يبالي بما ظفر من العبد من الخطيئتين ، فإنّه يأتي إلى قلب العبد فيشامّه ، فإن وجد فيه فتوراً وتوانياً وترخيصاً أخذه من هذه الخطة ، فثبطه وأقعده ، وضربه بالكسل والتواني والفتور ، وفتح له باب التأويلات والرجاء وغير ذلك ، حتى

ربما ترك العبد المأمور جملة .

وإن وجد عنده حذراً وجدًّا ، وتشميراً ونهضة ، وأيس أن يأخذه من هذا الباب ، أمره بالاجتهاد الزائد ، وسوّل له أن هذا لا يكفيك ، وهمتك فوق هذا ، وينبغي لك أن تزيد على العاملين ، وأن لا ترقد إذا رقدوا ، ولا تفطر إذا أفطروا ، وأن لا تفتر إذا فتروا ، وإذا غسل أحدهم يديه ووجهه ثلاث مرات ، فاغسل أنت سبعا ، وإذا توضأ للصلاة ، فاغتسل أنت لها ، ونحو ذلك من الافراط والتعدي ، فيحمله على الغلوّ والمجاوزة ، وتعدي الصراط المستقيم ، كما يحمل الأول على التقصير دونه وألا يقربه ، ومقصوده من الرجلين إخراجهما عن الصراط المستقيم : هذا بألا يقربه ولا يدنو منه ، وهذا بأن يجاوزه ويتعداه ، وقد فتن بهذا أكثر الخلق ، ولا ينجى من ذلك إلا علم راسخ ، وإيمان وقوة على محاربته ولزوم الوسط والله المستعان » (الوابل الصيب ص ١٩) .

٣ ـ تثبيطه العباد عن العمل ورميهم بالتسويف والكسل :

وله في ذلك أساليب وطرق ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : « يعقد الشيطانُ على قافية رأس أحدكم (القافية : مؤخر الرأس) إذا هو نام ثلاث عقد ، يضرب كل عقدة مكانها ، عليك ليل طويل فارقد ، فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة ، فإن توضأ انحلت عقدة ، فإن صلى انحلت عقده كلها ، فأصبح نشيطاً طيب النفس ، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان » .

وفي البخاري ومسلم : (إذا استيقظ أحدكم من منامه فتوضأ ، فليستنثر ثلاثا ، فإنَّ الشيطان يبيت على خيشومه) .

وسئل الرسول ـ ﷺ ـ عن رجل نام ليلة حتى أصبح ، فقال : « ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه » رواه البخاري .

وهذا الذي ذكرناه تكسيل وتثبيط من الشيطان بفعله ، وقد يثبط الإنسان بالوسوسة وسبيله في ذلك أن يحبب للإنسان الكسل ويسوف العمل ويسند الأمر إلى طول الأمل ، يقول ابن الجوزي في هذا : «كم قد خطر على قلب يهودي ونصراني حب الإسلام ، فلا يزال إبليس يثبطه ، ويقول : لا تعجل وتمهل في النظر ، فيسوفه حتى يموت على كفره ، وكذلك يسوف العاصي بالتوبة فيعجل له غرضه من الشهوات ، ويمنيه الانابة كما قال الشاعر :

لا تعجل الذنب لما تشتهي وتأمل التوبة من قابل

وكم من عازم على الجدّ سوفه ! وكم ساع إلى مقام فضيلة ثبطه ! فلربما عزم الفقيه على إعادة درسه ، فقال : استرح ساعة ، أو انتبه العابد في الليل يصلي ، فقال له : عليك وقت ، ولا يزال يحبب الكسل ، ويسوف العمل ، ويسند الأمر إلى طول الأمل .

فينبغي للحازم أن يعمل على الحزم ، والحزم تدارك الوقت ، وترك التسويف ، والاعراض عن الأمل ، فإنَّ المخوف لا يؤمن ، والفوات لا يبعث ، وسبب كل تقصير ، أو ميل إلى شرّ طول الأمل ، فإنَّ الإنسان لا يزال يحدث نفسه بالنزوع عن الشرِّ ، والاقبال على الخير ، إلا أنَّه يعد نفسه بذلك ، ولا ريب أنَّه من أمَّل أن يمشي بالنهار سار سيراً فاتراً . ومن أمَّل أن يصبح عمل في الليل عملا ضعيفاً ، ومن صور الموت عاجلاً جدَّ ... ، وقال بعض السلف : أنذركم (سوف) ، فإنها أكبر جنود إبليس ، ومثل العامل على الحزم والساكن لطول الأمل ، كمثل قوم في سفر فدخلوا قرية ، فمضى الحازم فاشترى ما يصلح لتمام سفره ، وجلس متأهباً للرحيل ، وقال المفرط : سأتأهب فربما أقمنا شهراً ، فضرب بوق الرحيل في الحال ، فاغتبط المحترز (المتوفي الحازم) وتحير الأسف المفرط ، فهذا مثل الناس في الدنيا منهم المستعد المستيقظ ، فإذا جاء ملك الموت لم يندم ، ومنهم المغرور المسوف يتجرع مرير الندم وقت الرحلة ، فإذا كان في الطبع حب التواني

وطول الأمل ، ثم جاء إبليس يحث على العمل بمقتضى ما في الطبع صعبت المجاهدة ، إلا أنه من انتبه لنفسه علم أنه في صف حرب ، وأن عدوه لا يفتر عنه ، فإن فتر في الظاهر بطّن له مكيدة وأقام له كميناً » (تلبيس إبليس / ٤٥٨) .

٤ ـ الوعد والتمنية :

وهو يعد الناس بالمواعيد الكاذبة ويعللهم بالأماني المعسولة ؛ كي يوقعهم في وهدة الضلال : (يعدهم ويمنيهم ، وما يعدهم الشيطان إلا غروراً) (سورة النساء / ١٢٠) .

يعد الكفرة في قتالهم المؤمنين بالنصر والتمكين والعزة والغلبة ، ثمَّ يتخلى عنهم ويولي هارباً : (وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم ، وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم ، فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم) (سورة الأنفال / ٤٨) .

ويعد الأغنياء الكفرة بالثروة والمال في الآخرة بعد الدنيا ، فيقول قائلهم : (ولئن رددت إلى ربِّي لأجدنَّ خيراً منها منقلباً) (سورة الكهف / ٣٦) ، فيدمر الله جنته في الدنيا فيعلم أنّه كان مغروراً مخدوعا .

ويشغل الإنسان بالأماني المعسولة التي لا وجود لها في واقع الحياة ، فيصده عن العمل الجاد المثمر ، ويرضى بالتخيل والتمني وهو لا يفعل شيئاً .

٥ ـ اظهار النصح للإنسان :

يدعو الشيطان المرء إلى المعصية يزعم أنه ينصح له ويريد خيره ، وقد أقسم لأبينا على أنه ناصح له (وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين) (سورة الأعراف / ٢١) .

وقد روى وهب بن منبه هذه القصة الطريفة عن أهل الكتاب [1] . نسوقها لنعلم أسلوباً من أساليب الشيطان في اضلاله العباد ، وكي نحذر نصحه ، ونخالفه فيما يدعونا إليه .

يقول وهب : « إن عابداً كان في بني اسرائيل ، وكان من أعبد أهل زمانه ، وكان في زمانه ثلاثة اخوة لهم أخت ، وكانت بكراً ليس لهم أخت غيرها ، فخرج البعث على ثلاثتهم ، فلم يدروا عند من يخلفون أختهم ، ولا من يأمنون عليها ، ولا عند من يضعونها ، قال : فأجمع رأيهم على أن يخلفوها عند عابد بني إسرائيل ، وكان ثقة في أنفسهم ، فأتوه فسألوه أن يخلفوها عنده ، فتكون في كنفه وجواره إلى أن يرجعوا من غزاتهم ، فأبى ذلك عليهم ، وتعوذ بالله منهم ومن أختهم ، قال : فلم يزالوا به حتى أطاعهم . فقال : أنزلوها في بيت حذاء صومعتي . قال : فأنزلوها في ذلك البيت . ثم انطلقوا وتركوها ، فمكثت في جوار ذلك العابد زماناً ينزل إليها بالطعام من صومعته فيضعه عند باب الصومعة ، ثم يغلق بابه ويصعد إلى الصومعة ، ثمَّ يأمرها فتخرج من بيتها ، فتأخذ ما وضع لها من الطعام ، قال : فتلطف له الشيطان ، فلم يزل يرغبه في الخير ، ويعظم عليه خروج الجارية من بيتها نهاراً ، ويخوفه أن يراها أحد فيعلقها ، فلو مشيت بطعامها حتى تضعه على باب بيتها كان أعظم أجراً .

قال فلم يزل به حتى مشى إليها بطعامها ، ووضعه على باب بيتها ولم يكلمها ، قال : فلبث على هذه الحالة زماناً ، ثمَّ جاءه إبليس فرغبه في الخير والأجر وحضه عليه ، وقال لو كنت تمشي إليها بطعامها حتى تضعه في بيتها كان أعظم لأجرك . فلم يزل به حتى مشى إليها بالطعام ثمَّ وضعه في بيتها ، فلبث على ذلك زماناً .

---

(١) هذه القصة وأمثالها من الإسرائيليات لا تصدق ولا تكذب ويجوز التحديث بها يقول الرسول ﷺ : « وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج » .

ثم جاءه إبليس فرغّبه في الخير وحضه عليه ، فقال : لو كنت تكلمها وتحدثها فتأنس بحديثك ، فإنها قد استوحشت وحشة شديدة ، فلم يزل به حتى حدثها زماناً يطلع إليها من فوق صومعته .

ثم أتاه إبليس بعد ذلك ، فقال : لو كنت تنزل إليها فتقعد على باب صومعتك وتحدثها ، وتقعد هي على باب بيتها فتحدثك كان آنس لها . فلم يزل به حتى أنزله وأجلسه على باب صومعته يحدثها وتحدثه ، وتخرج الجارية من بيتها حتى تقعد على باب بيتها . فلبثا زماناً يتحدثان .

ثمَّ جاءه إبليس فرغبه في الأجر والثواب فيما يصنع بها ، وقال : لو خرجت من باب صومعتك ثمَّ جلست قريباً من بيتها فحدثتها كان آنس لها . فلم يزل به حتى فعل . فلبثا زماناً على ذلك . ثم جاءه إبليس ، فقال : لو دخلت البيت معها فحدثتها ولم تتركها تبرز وجهها لأحد كان أحسن بك ، فلم يزل به حتى دخل البيت فجعل يحدثها نهارها كله ، فإذا مضى النهار صعد صومعته .

ثمَّ أتاه إبليس بعد ذلك فلم يزل يزينها له حتى ضرب العابد على فخذها وقبلها . فلم يزل به إبليس يحسنها في عينه ويسول له حتى وقع عليها ، فأحبلها فولدت له غلاماً ، فجاء إبليس فقال : أرأيت إن جاء اخوة الجارية وقد ولدت منك كيف تصنع ؟ لا آمن عليك أن تفتضح أو يفضحوك ، فاعمد إلى ابنها فاذبحه وادفنه فإنها ستكتم ذلك عليك مخافة اخوتها أن يطلعوا على ما صنعت بها ففعل ، فقال له : أتراها تكتم اخوتها ما صنعت بها وقتلت ابنها ، خذها واذبحها وادفنها مع ابنها ، فلم يزل به حتى ذبحها وألقاها في الحفرة مع ابنها ، وأطبق عليهما صخرة عظيمة وسوى عليهما ، وصعد إلى صومعته يتعبد فيها ، فمكث بذلك ما شاء الله أن يمكث ، حتى أقبل إخوتها من الغزو ، فجاؤوا فسألوه عنها فنعاها لهم وترحم عليها وبكاها . وقال : كانت خير امرأة ، وهذا قبرها ، فانظروا إليه . فأتى إخوتها القبر . فبكوا أختهم وترحموا

عليها فأقاموا على قبرها أياما ، ثمَّ انصرفوا إلى أهاليهم . فلما جنَّ عليهم الليل وأخذوا مضاجعهم ، جاءهم الشيطان في النوم على صورة رجل مسافر ، فبدأ بأكبرهم فسأله عن أختهم ، فأخبره بقول العابد وموتها وترحمه عليها ، وكيف أراهم موضع قبرها فأكذبه الشيطان . وقال : لم يصدقكم أمر أختكم إنه قد أحبل اختكم وولدت منه غلاماً فذبحه وذبحها معه فزعاً منكم ، وألقاهما في حفيرة احتفرها خلف باب البيت الذي كانت فيه عن يمين من دخله ، فانطلقوا فادخلوا البيت الذي كانت فيه عن يمين من دخله فإنكم ستجدونها كما أخبرتكم هناك جميعاً . وأتى الأوسط في منامه فقال مثل ذلك . ثمَّ أتى أصغرهم ، فقال له مثل ذلك . فلما استيقظ القوم أصبحوا متعجبين مما رأى كل واحد منهم ، فأقبل بعضهم على بعض يقول كل واحد منهم : لقد رأيت الليلة عجباً ، فأخبر بعضهم بعضاً بما رأى .

فقال كبيرهم : هذا حلم ليس بشيء فامضوا بنا ودعوا هذا عنكم ، قال أصغرهم : والله لا أمضي حتى آتي إلى هذا المكان فأنظر فيه . قال : فانطلقوا جميعاً حتى أتوا البيت الذي كانت فيه أختهم ، ففتحوا الباب وبحثوا الموضع الذي وصف لهم في منامهم فوجدوا أختهم وابنها مذبوحين في الحفيرة ، كما قيل لهم ، فسألوا عنها العابد فصدَّق قول إبليس فيما صنع بهما . فاستعدوا عليه ملكهم فأنزل من صومعته وقدّم ليصلب ، فلما أوثقوه على الخشبة أتاه الشيطان ، فقال له : قد علمت أني أنا صاحبك الذي فتنتك بالمرأة حتى أحبلتها وذبحتها وابنها ، فإن أنت أطعتني اليوم ، وكفرت بالله الذي خلقك وصوّرك خلصتك مما أنت فيه ، فكفر العابد ، فلما كفر بالله تعالى ، خلى الشيطان بينه وبين أصحابه فصلبوه .

(انظر تلبيس إبليس / ٣٩)

وهذه القصة يرويها المفسرون عند قوله تعالى : (كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك) (سورة الحشر / ١٦)

ويذكرون أن المعنيَّ بالإنسان هذا العابد وأمثاله . والله أعلم .

٦ ـ التدرج في الاضلال :

ومن القصة السابقة نعلم اسلوباً من أساليب الشيطان في الاضلال ، وهو أن يسير بالإنسان خطوة خطوة ، لا يكل ولا يملّ ، كلما روّضه على معصية ما ، قاده إلى معصية أكبر منها ، حتى يوصله إلى المعصية الكبرى فيوبقه ويهلكه ، وتلك سنة الله في عباده أنهم إذا زاغوا سلط عليهم الشيطان ، وأزاغ قلوبهم (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم) (سورة الصف / ٥) .

٧ ـ انساؤه العبد ما فيه خيره وصلاحه :

ومن ذلك ما فعله بآدم فما زال يوسوس له حتى أنساه ما أمره به ربُّه (ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزماً) (سورة طه/١١٥) وقال صاحب موسى لموسى : (فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره) (سورة الكهف / ٦٣) .

ونهى الله رسوله أن يجلس هو أو واحد من أصحابه في المجالس التي يستهزأ فيها بآيات الله ولكن الشيطان قد ينسي الإنسان مراد ربّه منه فيجالس هؤلاء المستهزئين (وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإمّا ينسينَّك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين) (سورة الانعام / ٦٨) .

وطلب نبيّ الله يوسف إلى السجين الذي ظنَّ بأنه سينجو من القتل ويعود لخدمة الملك أن يذكره عند مليكه فأنسى الشيطان هذا الإنسان أن يذكر لملكه نبي الله يوسف فيمكث يوسف في السجن بضع سنين (وقال للذي ظن أنّه ناج منهما اذكرني عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين) (سورة يوسف / ٤٢) .

وإذا تمكّن الشيطان من الإنسان تمكناً كلياً فإنه ينسيه الله بالكلية (استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون) (سورة المجادلة / ١٩) والمراد بهؤلاء المنافقون ، كما تدل عليه الآية السابقة لهذه الآية . وسبيل التذكر هو ذكر الله لأنه يطرد الشيطان (واذكر ربك إذا نسيت) (سورة الكهف / ٢٤) .

٨ ـ تخويف المؤمنين أولياءَه :

ومن وسائله أن يخوف المؤمنين من جنده وأوليائه ، فلا يجاهدونهم ولا يأمرونهم بالمعروف ، ولا ينهونهم عن المنكر ، وهذا من أعظم كيده بأهل الإيمان ، وقد أخبرنا سبحانه عنه بهذا فقال :

(إنّما ذلكم الشيطان يخوِّف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين) (سورة آل عمران / ١٧٥) .

والمعنى : يخوفكم بأوليائه ، قال قتادة : « يعظمهم في صدوركم ، ولهذا قال فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين ، فكلما قوي إيمان العبد زال من قلبه خوف أولياء الشيطان ، وكلما ضعف إيمانه قوي خوفه منهم » .

٩ ـ دخوله إلى النفس من الباب الذي تحبه وتهواه :

يقول ابن القيم في هذا الموضوع (اغاثة اللهفان ١ / ١٣٢) « إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم حتى يصادف نفسه ويخالطه ، ويسألها عمّا تحبه وتؤثره ، فإذا عرفه استعان بها على العبد ، ودخل عليه من هذا الباب ، وكذلك علّم اخوانه وأولياءه ، من الإنس إذا أرادوا أغراضهم الفاسدة من بعضهم بعضاً أن يدخلوا عليهم من الباب الذي يحبونه ويهوونه ، فإنّه باب لا يخذل عن حاجته من دخل منه ، ومن رام الدخول من غيره فالباب عليه مسدود ، وهو عن طريق مقصده مصدود » .

ومن ههنا دخل الشيطان على آدم وحواء كما قال تعالى : (وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين) (سورة الأعراف / ٢٠) يقول ابن القيم « فشام عدو الله الأبوين ، فأحسَّ منهما ايناساً وركوناً إلى الخلد في تلك الدار في النعيم المقيم فعلم أنّه لا يدخل عليهما من غير هذا الباب ، فقاسمهما بالله إنّه لهما لمن الناصحين ، وقال : (ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين) . (سورة الاعراف/٢٠) .

١٠ ـ إلقاء الشبهات :

ومن أساليبه في اضلال العباد زعزعة العقيدة بما يلقيه من شكوك وشبهات ، وقد حذرنا الرسول ـ ﷺ ـ من بعض هذه الشبهات التي يلقيها ، ففي حديث البخاري ومسلم : « يأتي الشيطان أحدكم فيقول : من خلق كذا ؟ من خلق كذا ؟ حتى يقول من خلق ربك ؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته » . ولم يسلم الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ من شبهاته وشكوكه ، وجاء بعضهم إلى الرسول ـ ﷺ ـ يَشْكون ما يعانونه من شكوكه ووساوسه ، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : جاء ناس من أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ إلى النبي ـ ﷺ ـ فسألوه : إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به ! قال : « أوَقَد وجدتموه ؟ » قالوا : نعم . قال : « ذلك صريح الإيمان » .

ومراد الرسول ـ ﷺ ـ بقوله « ذلك صريح الإيمان » أي دفع وسوسة الشيطان وكراهيتهم واستعظامهم لها .

وانظر إلى شدة ما كان يعانيه الصحابة من شكوكه ، روى أبو داود في سننه عن ابن عباس : أن النبي ـ ﷺ ـ جاءه رجل ، فقال : « إني أحدث نفسي بالشيء لأن أكون حممة أحبَّ إليّ من أتكلم به . قال : الحمد لله الذي ردّ أمره إلى الوسوسة » ومن جملة ما يلقيه في النفوس مشككاً ما حدثنا الله عنه في قوله :(وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى

الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم ، ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفي شقاق بعيد ، وليعلم الذين اوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قُلوبهم ، وإن الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم » (سورة الحج / ٥٢ ـ ٥٤) .

والمراد بالتمني هنا حديث النفس ، والمراد أن النبي ـ ﷺ ـ كان إذا حدث نفسه ألقى الشيطان في حديثه على جهة الحيلة ، فيقول : لو سألت الله ـ عز وجل ـ أن يغنِّمك ليتسع المسلمون ، أو يتمنى إيمان الناس جميعاً .... فينسخ الله ما يلقيه الشيطان بوسواسه في أمنية النبي ـ ﷺ ـ وذلك بتنبيهه إلى الحق ، وتوجيهه إلى مراد الله ... وما قيل من أن مراد الآية أن الشيطان يدخل في القرآن ما ليس منه ففيه بعد ، ويرده أن الرسول ـ ﷺ ـ معصوم في التبليغ .

يقول شقيق (أحد العلماء الأعلام) : مبيناً لبعض الشبهات التي يقذفها الشيطان في نفس الإنسان : « ما من صباح إلا قعد لي الشيطان على أربع مراصد: من بين يدي ، ومن خلفي ، وعن يميني ، وعن شمالي ، فيقول : لا تخف فإن الله غفور رحيم ، فأقرأ : (وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثمَّ اهتدى) (سورة طه / ٨٢) وأما من خلفي فيخوفني الضيعة على من أخلفه ، فأقرأ : (وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها) ، (سورة هود / ٦) ومن قبل يميني ، يأتيني من قبل النساء ، فأقرأ : (والعاقبة للمتقين) (سورة الأعراف / ١٢٨) .

ومن قبل شمالي فيأتيني من قبل الشهوات ، فأقرأ (وحيل بينهم وبين ما يشتهون) (سورة سبأ / ٥٤) .

١١ ـ ١٤ ـ الخمر والميسر والأنصاب والأزلام :

قال تعالى : (إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ، إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ، ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون) (سورة المائدة / ٩٠ ـ ٩١) والخمر كل ما يسكر ، والميسر القمار ، والأنصاب كل ما نصب يعبد من دون الله : من حجر ، أو شجر ، أو وثن ، أو قبر ، أو علم .

والأزلام : القداح كانوا يستقسمون بها الأمور ، أي يطلبون بها علم ما قسم لهم .

وهذه قد تكون أقداحاً أو سهاماً أو حصيات أو غير ذلك ، يكون مكتوباً على واحد منها أمرني ربي ، وعلى الآخر نهاني ربي ، فإذا شاء أحدهم زواجاً أو سفراً أو نحو ذلك أدخل يده في الشيء الذي فيه هذه القداح أو السهام ، فإن خرج الذي فيه الأمر بالفعل فعل وإن خرج الآخر ترك .

فالشيطان يحض الناس على هذه الأربع لأنها ضلال في نفسها ، وتؤدي إلى نتائج وخيمة ، وآثار سيئة ، فالخمر تفقد شاربِها عقله فإذا فقد عقله فعل الموبقات وارتكب المحرمات وترك الطاعات وآذى عباد الله ، ذكر ابن كثير في تفسيره عن عثمان بن عفان قال : « اجتنبوا الخمر ، فإنها أمُّ الخبائث ، إنه كان رجل فيمن خلا قبلكم يتعبد ويعتزل الناس ، فعلقته امرأة غويّة ، فأرسلت إليه جاريتها أن تدعوه لشهادة ، فدخل معها فطفقت كلما دخل باباً أغلقته دونه ، حتى أفضى إلى امرأة وضيئة عندها غلام وباطية خمر ، فقالت : إني والله ما دعوتك لشهادة ولكن دعوتك لتقع عليّ ، أو تقتل هذا الغلام ، أو تشرب هذا الخمر ، فسقته كأساً ، فقال : زيدوني ، فلم يرم حتى وقع عليها وقتل النفس ، فإنها لا تجتمع هي والإيمان أبداً إلا أوشك أحدهما أن يخرج صاحبه » . رواه البيهقي ، وصحح ابن كثير اسناده .

وروى مسلم وأصحاب السنن أن رجلاً من الأنصار صنع طعاماً لبعض الصحابة ، ثمَّ سقاهم خمراً قبل أن ينزل تحريمها ، فلما سكروا تفاخروا ، فتعاركوا ، وأصاب سعد بن أبي وقاص من هذا العراك أذى ، فقد ضربه أحدهم بلحى بعير ، فأصاب أنفه ، فأثر فيه أثراً صاحبه طيلة حياته . وتقدم أحدُ الصحابة يصلي بالناس وهو سكران قبل نزول تحريم الخمر فقرأ : (قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون) فأنزل الله : (لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون) ، (سورة النساء / ٤٣) .

وقد رأينا الرجل الذي بلغ من الكبر عِتِيًا عندما يشرب الخمر يتصرف تصرفات المجانين ، ويضحك منه الكبار والصغار ، ويفترش الطريق تدوسه الناس بأقدامها .

والميسر مرض خطير كالخمر إذا تأصل في نفس الإنسان صعب الشفاء منه ، وهو سبيل لضياع الوقت والمال ، والميسر ينشىء الأحقاد ، ويدفع إلى الحرام .

والشيطان يدعو إلى إقامة النصب كي تتخذ بعد ذلك آلهة تُعبد من دون الله ، وقد انتشرت عبادة الأنصاب قديماً وحديثاً والشياطين تلازم هذه الأصنام ، وتخاطب عبادها في بعض الأحيان ، وتريهم بعض الأمور التي تجعل عابديها يثقون بها ، فيقصدونها بالحاجات ، ويدعونها في الكربات ، ويستنصرون بها في الحروب ، ويقدمون لها الذبائح والهدايا ، ويرقصون حولها ويطربون ، ويقيمون لها الأعياد والاحتفالات ، وقد أضل بهذا الكثير كما قال إبراهيم داعياً ربه : (واجنبني وبني أن نعبد الأصنام ، رب إنهن أضللن كثيراً من الناس) (سورة إبراهيم / ٣٥ـ٣٦) ولا تزال عبادة القبور منتشرة بين المسلمين ، يقصدونها بالدعاء والألطاف والذبائح ... وانتشرت بدعة جديدة اليوم ـ يضحك بها الشيطان على بني الإنسان ـ تلك هي نصب الجندي المجهول ، يزعمون أنه رمز الجندي المقاتل ، ويكرمونه بالهدايا

والورود والتعظيم ، وكلما زار البلاد زعيم جاء هذا النصب وقدم له هدية ، وكل هذا من عبادة الأنصاب التي هي من عمل الشيطان .

الاستقسام بالأزلام :

الأمور المستقبلية من مكنون علم الله ، ولذلك شرع لنا الرسول ـ ﷺ ـ الاستخارة إذا أردنا سفراً أو زواجاً أو غير ذلك ، نرجو من الله أن يختار لنا خير الأمور .

وأبطل الاستقسام بالأزلام فإن السهام والقداح لا تعلم أين الخير ولا تدريه ، فاستشارتها خلل في العقل ، وقصور في العلم ، ومثل ذلك زجر الطير كان من يريد سفراً إذا خرج من بيته ومرّ بطائر زجره ، فإن تيامن كان سفراً ميموناً ، وإن مرّ عن شماله كان سفراً مشئوماً ... ، وكل ذلك من الضلال .

١٥ ـ السحر :

ومما يضل به الشياطين أبناء آدم السحر ، فهم يعلمونهم هذا العلم الذي يضر ولا ينفع ، ويكون هذا العلم سبيلا للتفريق بين المرء وزوجه ، والتفريق بين الزوجين يعتبره الشيطان من أعظم الأعمال التي يقوم بها جنوده كما سبق .

قال تعالى : (وما كفر سليمان ، ولكنَّ الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ، وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت ، وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر ، فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه ، وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ، ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ، ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة ، من خلاق ، ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون) ، (سورة البقرة / ١٠٢) .

هل للسحر حقيقة ؟

اختلف العلماء في ذلك فمن قائل : انّه تخييل لا حقيقة له ، (فإذا حبالهم

وعصيُّهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى) (سورة طه / ٦٦) ومن قائل أن له حقيقة كما دلت عليه آية البقرة ، والصحيح أنّه نوعان : نوع هو تخييل يعتمد على الحيل العلمية وخفة الحركة ، ونوع له حقيقة يفرق به بين المرء وزوجه ، ويؤذي به ..

سحر اليهود للرسول ﷺ :

عن عائشة رضي الله عنها قالت :

« سَحَر رسولَ الله ﷺ يهوديٌ من يهود بني زُرَيق ، يقال لـه لبيد ابن الأعصم . حتى كان رسول الله ﷺ ، يُخيّل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله .

حتى إذا كان ذات يوم ، دعا رسول الله ﷺ ، ثم دعا ، ثم دعا ـ أي دعا ربه مرات ـ ثم قال :

يا عائشة أَشعرتِ أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه ؟

(أي أجابني فيما طلبت).

جاءني رجلان ، فقعد أحدهما عند رأسي ، والآخر عند رجليّ .

فقال الذي عند رأسي للذي عند رجلي ، أو الذي عند رجلي للذي عند رأسي :

ما وجع الرجل ؟

قال : مطبوب (أي مسحور)

قال : مَن طبّه ؟

قال : لبيد بن الأعصم .

قال : في أي شيء ؟

قال : في مُشط ومُشاطة ـ أي شعر سقط عند التسريح ـ وجُفّ طلعةِ

ذكر (أي غشاء الطلع)

قال : فأين هو ؟

قال : في بئر ذي أرَوان .

قالت : فأتاها رسول الله ﷺ في أناس من أصحابه ، ثم قال :

يا عائشة ، والله لكأن ماءها نقاعة الحناء ولَكأن نخلها رؤوس الشياطين .

فقلت : يا رسول الله ، أفلا أحرقته ؟

قال : لا ، أمّا أنا فقد عافاني الله ، وكرهت أن أثير على الناس شراً ، فأمرت بها فدُفنت » . (رواه البخاري ومسلم) .

ولا يقال : إن السحر فيه ﷺ يوجب لَبساً في النبوة والرسالة ، لأن أثر السحر لم يتجاوز ظاهر الجسم الشريف ، فلم يصل إلى القلب والعقل . فهو كسائر الأمراض التي قد تعرض له ، والتشريع محفوظ بحفظ الله تعالى :

قال الله تعالى : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له الحافظون) . (سورة الحجر / ٩) .

١٦ ـ ضعف الإنسان :

في الإنسان نقاط ضعف كثيرة ، هي في الحقيقة أمراض ، والشيطان يعمق هذه الأمراض في نفس الإنسان ، بل تصبح مداخله إلى النفس الإنسانية ومن هذه الأمراض : الضعف ، واليأس ، والقنوط ، والبطر ، والفرح ، والعجب ، والفخر ، والظلم ، والبغي ، والجحود ، والكنود ، والعجلة ، والطيش ، والسفه ، والبخل ، والشح ، والحرص ، والجدل ، والمراء ، والشك ، والريبة ، والجهل ، والغفلة ، واللدد في الخصومة ، والغرور ، والادعاء الكاذب ، والهلع ، والجزع ، والمنع ، والتمرد ، والطغيان ،

وتجاوز الحدود ، وحب المال ، والافتتان بالدنيا ، .. فالإسلام يدعو إلى اصلاح النفس ، والتخلص من أمراضها ، وهذا يحتاج إلى جهد يبذل ، ويحتاج إلى صبر على مشقات الطريق ، أمّا اتباع الهوى وما تمليه النفس الأمارة بالسوء فإنه سهل ميسور ، فالأول مثله مثل من يصعد بصخرة إلى أعلى الجبل ، ومثل الثاني كمن يدحرج صخرة من أعلى الجبل إلى أسفله ، ولذلك كانت الاستجابة للشيطان كثيرة ، وَوَجد دعاة الحق صعوبة وأي صعوبة في الدعوة إلى الله تعالى .

ونحن نسوق إليك بعض كلام السلف لنوضح كيف يستغل الشيطان نقاط الضعف في الإنسان :

ـ حكى المعتمر بن سليمان عن أبيه أنه قال : (ذكر لي أن الشيطان الوسواس ينبعث في قلب ابن آدم عند الحزن والفرح ، فإذا ذكر الله خنس) (تفسير القرآن / ابن كثير ٧ / ٤٢٣) وقال وهب بن منبه : « قال راهب للشيطان وقد بدا له : أي أخلاق ابن آدم أعون لك عليهم ؟ قال : الحدة (صفة تعتري الإنسان كالغضب) إن العبد إذا كان حديداً قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة » (تلبيس إبليس / ٤٢) ويذكر ابن الجوزي أيضاً عن ابن عمر أن نوحاً سأل الشيطان عن الخصال التي يهلك بها الناس ، فقال : « الحسد والحرص » وليس بعيداً عنّا ما فعله الشيطان بيوسف واخوته وكيف أوغر صدور الاخوة على أخيهم ، وقد قال يوسف : (وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن ، وجاء بكم من البدو ، من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي) (سورة يوسف / ١٠٠) .

١٧ ـ النساء وحب الدنيا :

وقد أخبرنا الرسول ـ ﷺ ـ أنه ما ترك بعده فتنة أشد على الرجال من النساء ، ولذلك أمرت المرأة بستر جسدها كله إلا الوجه والكفين ، وأمر

الرجال بغض أبصارهم ، ونهى الرسول - ﷺ - عن الخلوة بالمرأة ، وأخبر أنه ما خلى رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما . وفي سنن النسائي باسناد صحيح (المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان) .

ونحن اليوم نشاهد عظم فتنة خروج غالب النساء كما وصفهن الرسول - ﷺ - كاسيات عاريات ، وقامت مؤسسات في الشرق والغرب تستخدم جيوشاً من النساء والرجال لترويج الفاحشة بالصورة المرئية ، والقصة الخليعة ، والأفلام التي تحكي الفاحشة وتدعو لها !...

أما حب الدنيا فهو رأس كل خطيئة ، وما سفكت الدماء وهتكت الأعراض ، وغصبت الأموال ، وقطعت الأرحام ، ... إلا لأجل حيازة الدنيا ، والصراع على حطامها الفاني ، وحرصاً على متعها الزائلة .

١٨ - الغناء والموسيقى :

الغناء والموسيقى طريقان يفسد الشيطان بهما القلوب ، ويخرب النفوس ، يقول ابن القيم : (ومن مكايد عدو الله ومصايده التي كاد بها من قل نصيبه من العلم والعقل والدين ، وصاد بها قلوب الجاهلين والمبطلين : سماع المكاء والتصدية ، والغناء بالآلات المحرمة الذي يصد القلوب بها عن القرآن ، ويجعلها عاكفة على الفسوق والعصيان ، فهو قرآن الشيطان والحجاب الكثيف عن الرحمن ، وهو رقية اللواط والزنى ، كاد به الشيطان النفوس المبطلة ، وحسنه لها مكراً وغروراً ، وأوحى لها الشبه الباطلة على حسنه ، فقبلت وحيه ، واتخذت لأجله القرآن مهجوراً ...) (اغاثة اللهفان ٢٤٢/١) ومن عجب أن بعض الناس الذين يدَّعون التعبد يتخذون الغناء والرقص والتمايل طريقاً للتعبد ويتركون السماع الرحماني ، ويذهبون إلى السماع الشيطاني ، وقد عدَّ ابن القيم في (الاغاثة ٢٥٦/١) لهذا السماع بضعة عشر اسماً : اللهو ، واللغو ، والباطل ، والزور ، والمكاء ، والتصدية ، ورقية الزنا ، وقرآن

الشيطان ، ومنبت النفاق في القلب ، والصوت الأحمق ، والصوت الفاجر ، وصوت الشيطان ، ومزمور الشيطان ، والسمود .

وأطال النفس في بيان تحريمه وما فيه من زور وبهتان فراجعه إن شئت .

١٩ ـ تهاون المسلمين في تحقيق ما أمروا به :

إذا التزم المسلم بإسلامه فإن الشيطان لا يجد سبيلاً لاضلاله والعبث به ، فإذا تهاون وتكاسل في بعض الأمور فإن الشيطان يجد فرصة ، قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين) (سورة البقرة / ٢٠٨) فالدخول في الإسلام في كل الأمور هو الذي يخلص من الشيطان ، فمثلاً إذا كانت صفوف المصلين مرصوصة فإن الشياطين لا تستطيع أن تتخلل المصلين فإذا تُركت فُرجٌ بين الصفوف فإنَّ الشياطين تتراقص بين صفوف المصلين ففي الحديث « أقيموا صفوفكم ، لا تتخللكم الشياطين كأنّها أولاد الحذف . قيل يا رسول الله : وما أولاد الحذف ؟ قيل جُرْد « بأرض اليمن » رواه أحمد والحاكم باسناد صحيح (صحيح الجامع ١/٣٨٤) وفي الحديث الآخر « أقيموا صفوفكم ، وتراصوا ، فوالذي نفسي بيده إني لأرى الشياطين بين صفوفكم كأنها غنم عُفْر » رواه أبو داود الطيالسي باسناد صحيح (صحيح الجامع ١/٣٨٤) .

كيف يصل الشيطان الى نفس الانسان :

الوسوسة :

الشيطان يستطيع أن يصل إلى فكر الإنسان وقلبه ، بطريقة لا ندركها ولا نعرفها ، يساعده على ذلك طبيعته التي خلق عليها ، وهذا الذي نسميه بالوسوسة ، وقد أخبرنا الله بذلك إذ سماه (الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس) (سورة الناس / ٤ ـ ٥) قال ابن كثير في تفسيره :

(الواسواس الخناس) الشيطان جاثم على قلب ابن آدم ، فإذا سها وغفل وسوس ، فإذا ذكر الله خنس .

وقد ثبت في صحيح البخاري أن الرسول ـ ﷺ ـ قال : « إنَّ الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم » .

وبهذه الوسوسة أضل آدم وأغراه بالأكل من الشجرة : (فوسوس إليه الشيطان ، قال : يا آدم ، هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى) (سورة طه / ١٢٠) .

وقد تتمثل الشياطين في صورة بشر ، وقد يحدثون الإنسان ويُسْمِعونه ويأمرونه وينهونه بمرادهم .. كما سيأتي بيانه .